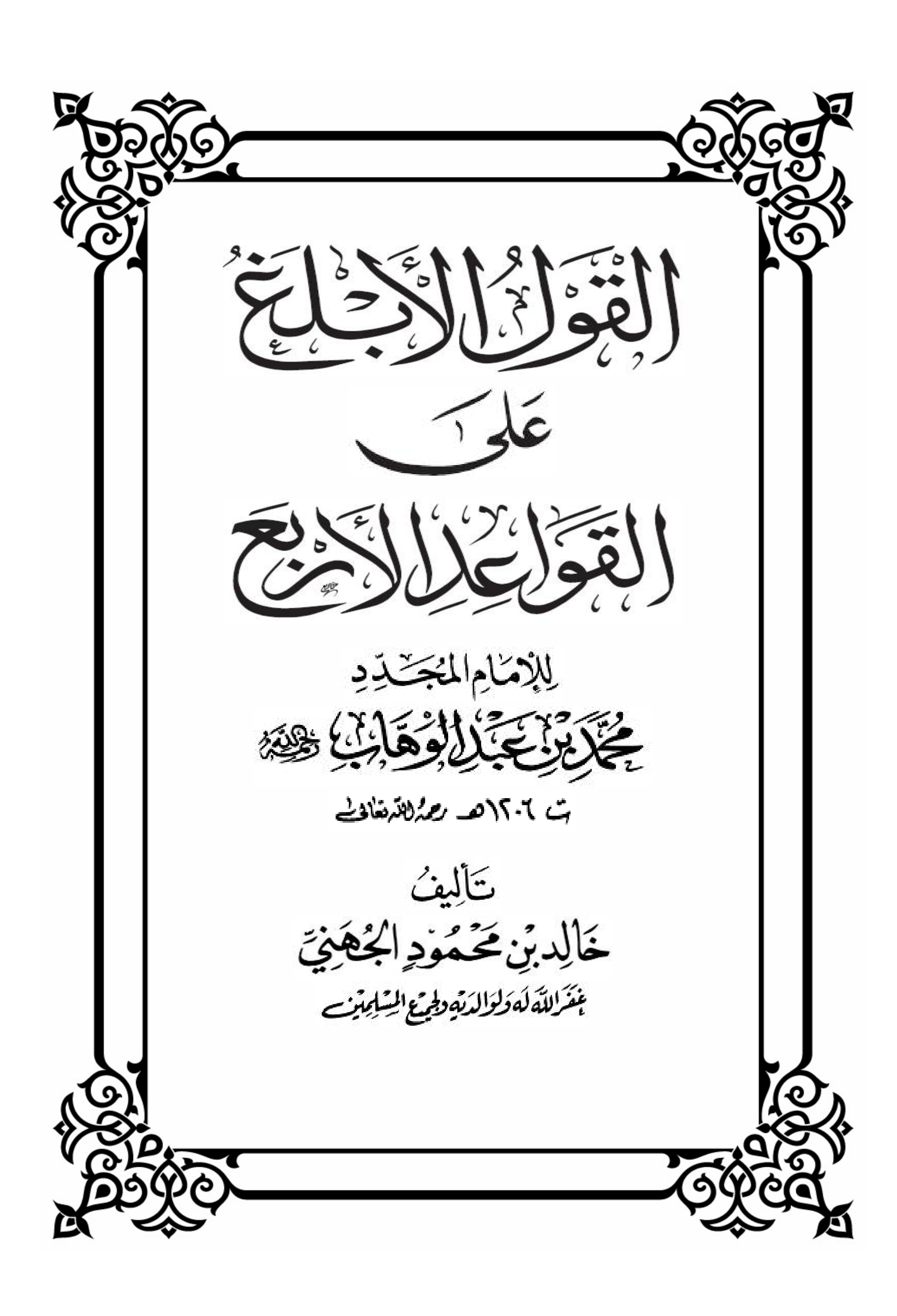

القول الأبلغ
على
القواعد الأربع
للإمام المجدد
محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
ت ١٢٠٦هـ رحمه الله تعالى
تأليف
خالد بن محمود الجهني
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار؛ وبعد.

فهذا تعليق مختصر علىٰ رسالة **«القواعد الأربع»**، لشيخ الإسلام

المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٢٠٦هـ)؛ التي بَيَّنَ فيها أهمية التوحيد، وما يضاده من الشرك؛ وذكر أربعة قواعد مهمة للرد علىٰ عباد الأضرحة، واستمد هذه القواعد من الكتاب والسنة.

والتوحيد أعظم ما أمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به، ولا يقبل الله عبادة من مشرك؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾[الزُّمَر:٦٥].

وقد أمرنا الله عَزَّ وَجَلَّ بإخلاص العبادة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢﴾[الزُّمَر:٢].

نسأل اللهَ أن يغفر لنا العيوبَ، والزَّلات، وأن يتغمدَنا برحمته، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

وكتب

خالد بن محمود الجهني

٨/٣/١٤٣٢هـ

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه:

هو الإمام العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد التميمي[١].

مولده:

وُلد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١١١٥هـ في بلدة العيينة من أرض نجد، ونشأ فيها[٢].

طلبه للعلم:

قرأ القرآن قبل بلوغه العشر، وكان حاد الفهم، سريع الإدراك يتعجب أهله من فطنته وذكائه، ثم اشتغل بالعلم وجَدَّ في طلبه، وبعد بلوغه قدّمه والده إمامًا في الصلاة، ثم حج، وأقام بها شهرين، ثم رجع إلىٰ بلده واشتغل بالقراءة علىٰ مذهب الإمام أحمد، ثم رحل إلىٰ البصرة والحجاز مرارًا، ورحل إلىٰ الأحساء فسمع من مشايخها[٣].

شيوخه:

أخذ العلم عن عدة مشايخ أجلاء وعلماء فضلاء؛ من أشهرهم[٤]:

---

(١) انظر: «مشاهير علماء نجد»، للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف، صـ(١٦).
(٢) انظر: السابق، صـ(١٦-١٧).
(٣) انظر: السابق، صـ(١٧).
(٤) انظر: السابق، صـ(١٧).

١- أبوه الشيخ عبد الوهاب بن سليمان.

٢- الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف النجدي.

٣- الشيخ العالم محمد حياة السندي المدني.

دعوته:

عند ما انتقل والد الشيخ إلىٰ حُرَيْمَلاء التي كان يعمل فيها قاضيًا بدأ الشيخ ينشر الدعوة إلىٰ التوحيد جاهرًا؛ وذلك سنة ١١٤٣هـ، ثم غادرها بسبب تآمر نفر من أهلها عليه لقتله، ثم توجه إلىٰ العُيَيْنَة وعرض دعوته إلىٰ أميرها عثمان بن معمر الذي قام معه بهدم القبور، والقباب، وأعانه علىٰ رجم امرأة زانية جاءته معترفة بذلك، فلما كثر القيل والقال من أهل البدع والضلال شكوا إلىٰ شيخهم رئيس بني خالد فكتب إلىٰ عثمان يأمره بقتله أو إجلائه، فأمر بإجلائه، فخرج الشيخ منها وهاجر إلىٰ الدرعية فنزل ضيفًا علىٰ عبد الله بن سويلم، ثم انتقل إلىٰ تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم، وكان عليها الأمير محمد بن سعود، وكان كغيره من الأمراء يسمعون عن الشيخ، ولم يسمعوا منه.

علمت زوجة الأمير بقدوم الشيخ، وكان قد هداها الله، وسمعت بدعوته، فقالت لزوجها الأمير: إن هذا الرجل غنيمة ساقها الله لك، فأكرمه وعظمه واغتنم نصرته، فما زالت به حتىٰ أقنعته؛ فقال لها: قولوا له يأتيني، فقالت: إذا طلبته قال الناس: يريد أن يعذبه، أو يقتله، ولكن اذهب إليه أنت كي يقدره الناس، فذهب إلىٰ الشيخ، فعرض الشيخ عليه دعوته فشرح الله ﷻ صدره للدعوة، ومن ذلك الوقت قامت

الدعوة في الدَّرْعِيَّة، وجلس الشيخ للتدريس، وصار الطلاب يتوافدون علىٰ الشيخ؛ فنفع الله بالشيخ الناس في البلاد شرقًا وغربًا[١].

مؤلفاته:

صنف الشيخ محمد بن عبد الوهاب مصنفات كثيرة، من أشهرها[٢]:

١- كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله علىٰ العبيد.

٢- أصول الإيمان.

٣- فضل الإسلام.

٤- كشف الشبهات.

٥- مسائل الجاهلية.

٦- مختصر زاد المعاد.

ثناء العلماء عليه:

قال سليمان أخو الإمام محمد بن عبد الوهاب: «كان عبد الوهاب أبوه -أي: محمد- يتعجب من فهمه وإدراكه قبل بلوغه، ويقول: لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام»[٣].

وأنشد العلامة الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني فيه قصيدة أثنىٰ عليه فيها بقيامه بالتوحيد وبإلزامه من تحت يده إقامة شعائر الإسلام[٤].

---

(١) انظر: «مشاهير علماء نجد»، صـ(١٨-٢٥).

(٢) انظر: السابق، صـ(٢٦).

(٣) انظر: «حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، للشيخ إسماعيل بن محمد بن ماحي السعدي، صـ(١٣١).

(٤) انظر: «حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، صـ(١٣١).

وأثنىٰ عليه العلامة الشوكاني، فقال: من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة(١).

وأثنىٰ عليه الألوسي، فقال: شديد التعصب للسنة كثير الإنكار علىٰ من خالف الحق من العلماء من العلماء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر(٢).

وقال ابن بدران: «**وَلما امْتَلَأَ وطابه من الْآثَار وَعلم السّنة وبرع فِي مَذْهَب أَحْمد أَخذ ينصر الْحق ويحارب الْبدع ويقاوم مَا أدخلهُ الجاهلون فِي هَذَا الدّين الْحَنَفِيّ والشريعة السمحاء... وَلم يزل مثابرًا علىٰ الدعْوَة إِلَىٰ دين الله تَعَالَىٰ حَتَّىٰ توفاه الله تَعَالَىٰ**»(٣).

وقال: «**فأصبح ابن عبد الوهاب ذا شهرة طبقت العالم الإسلامي وغيره معدودًا من الزعماء المؤسسين للمذاهب الكبرىٰ والمغتربين بفكرهم أفكار الأمم**»(٤).

وفاته:

توفي الشيخ في الدَّرْعِيَّة سنة ١٢٠٦هـ يوم الاثنين آخر شهر شوال، وصلي عليه في بلدة الدرعية؛ ورثاه جمع من العلماء منهم الإمام محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٥).

---

(١) **انظر:** السابق، صـ (١٣٣).

(٢) **انظر:** السابق، صـ (١٣٨).

(٣) **انظر:** «المدخل»، لابن بدران، صـ (٤٤٧).

(٤) **انظر:** «الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي»، للشيخ محمد بن الحسن الحجوي (٢/٤٤٦).

(٥) **انظر:** «مشاهير علماء نجد»، صـ (٢٦).



متن الرسالة

[مقدمــة]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أسأل اللهَ الكريمَ ربَّ العرشِ العظيم أن يتولَّاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركًا أينما كنتَ، وأن يجعلك ممن إذا أُعطي شكرَ، وإذا ابتُلِيَ صَبَرَ، وإذا أذنبَ استغفرَ، فإن هؤلاءِ الثلاث عنوان السعادة.

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أنْ تَعبُدَ الله وحده مُخلصًا له الدين، وبذلك أمرَ الله جميع الناس وخَلَقهم لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات:٥٦].

فإذا عَرَفت أن الله خلقك لعبادته، فاعلم أن العبادة لا تُسمَّى عبادة إلا مع التوحيد كما أن الصلاة لا تُسمَّى صلاةً إلا مع الطهارة.

فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة.

فإذا عَرَفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها، وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار عَرَفت أنَّ أهم ما عليك معرفة ذلك، لعل الله أن يُخلِّصك من هذه الشبكة، وهي الشرْكُ بالله الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.

[القاعدة الأولى]

أن تعلم أن الكافرين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، مقرون بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر، وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام.

والدليل: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس:٣١].

[القاعدة الثانية]

أنهم يقولون: ما دعوناهم، وتوجهنا إليهم إلا لطلب القُرْبة، والشفاعة.

فدليل القُرْبة: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزُّمَر:٣].

ودليل الشفاعة: قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية، وشفاعة مثبَتَة.

فالشفاعة المنفية: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

والدليل: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة:٢٥٤].

والشفاعة المثبَتَة: هي التي تطلب من الله، والشافع مُكرَم بالشفاعة، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، والمشفوع له من رضي الله قوله، وعمله بعد الإذن.

[القاعدة الثالثة]

أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم: منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ، ولم يفرق بينهم.

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٣].

ودليل الشمس، والقمر: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فُصِّلَت:٣٧].

ودليل الملائكة: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران:٨٠].

ودليل الأنبياء: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا

يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المائدة:١١٦].

ودليل الصالحين: قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء:٥٧].

ودليل الأحجار، والأشجار: قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النجم:٢٠].

وحديث أبي واقدٍ الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**خرجنا مع النبي ﷺ إلى حُنين ونحنُ حدثاء عهدٍ بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط...**» الحديث[(١)].

[القاعدة الرابعة]

أنّ مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأوّلين؛ لأنّ الأوّلين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدّة، ومشركو زماننا شركهم

---

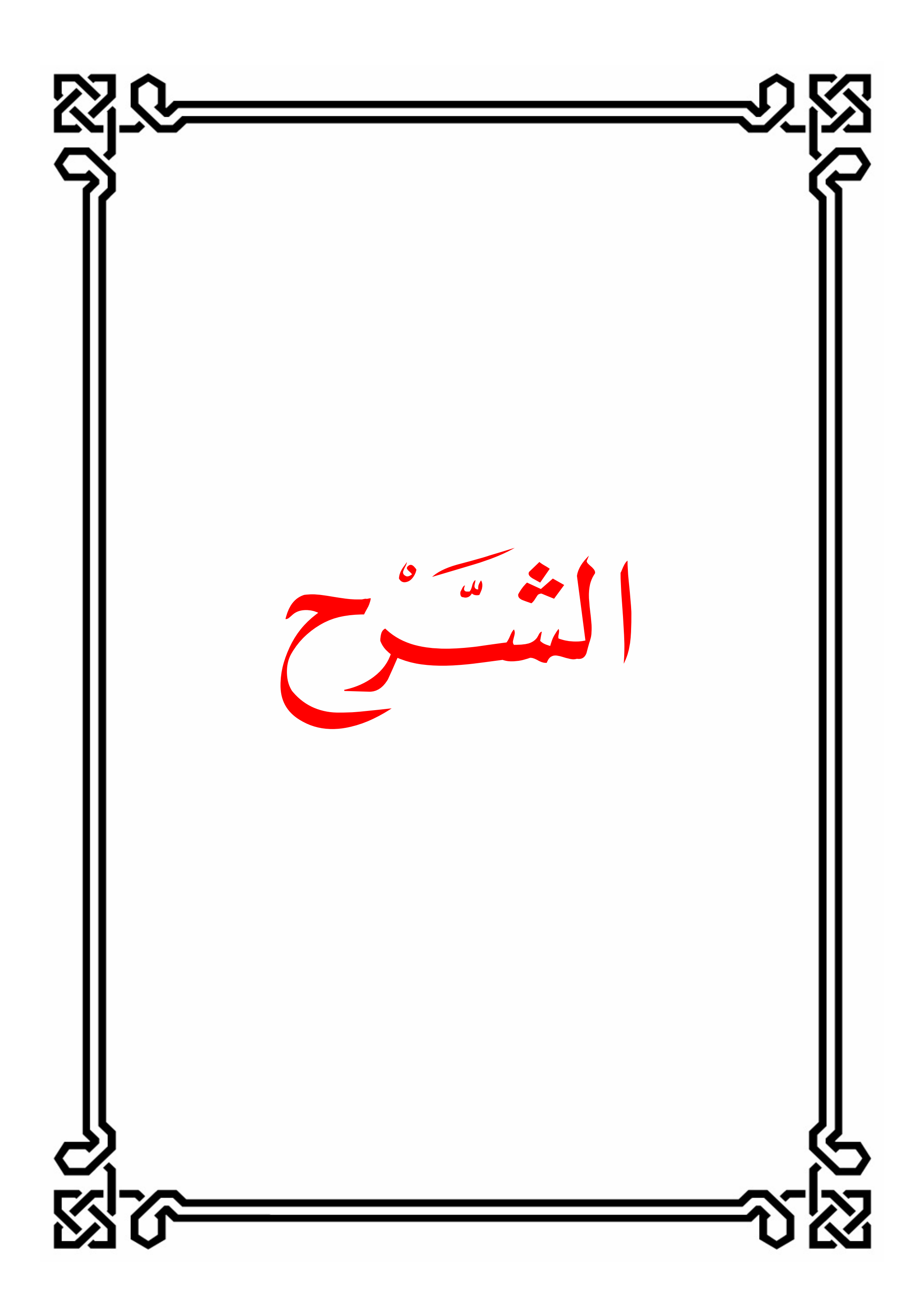
(١) **صحيح:** رواه الترمذي (٢١٨٠)، وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢١٨٩٧)، وصححه الألباني.

دائم؛ في الرخاء والشدّة.

والدليل: قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٥].

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.





الشَّرْح

[مقدمة]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أسأل اللهَ الكريمَ ربَّ العرشِ العظيم أن يتولَّاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركًا أينما كنتَ، وأن يجعلك ممن إذا أُعطي شكرَ، وإذا ابتُلِيَ صَبَرَ، وإذا أذنبَ استغفرَ، فإن هؤلاءِ الثلاث عنوان السعادة.

الشَّرْح

قـولـه: «بسم الله الرحمن الرحيم»: ابتداء المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه بالبسملة اقتداء بالكتاب الكريم، وتأسيًا بالنبي ﷺ في مكاتباته، ومراسلاته؛ والبداءة بها لأمرين:

الأول: التبرك، أي أتبرَّك، وأطلب البركة باسم الله.

الثاني: الاستعانة، أي أستعين باسم الله.

قـولـه: «أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة»: هذا دعاء من المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لطالب العلم الذي يريد أن يتعلم العقيدة الصحيحة، ودعاء للقارئ الذي يريد الحق والنجاة؛

أن يجعله من أولياء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن تولَّاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الدنيا، والآخرة فإنه يأمن من المخاوف، والأهوال، والشرور في الدنيا، والآخرة.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣﴾ [الأحقاف:١٣].

قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي في الدنيا.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ أي في الآخرة.

قوله: «وأن يجعلك مباركًا أينما كنتَ»: أي في صحتك، ومالك، وأهلك، لأن الله تعالىٰ إذا جعل العبدَ مباركًا حصلت له البركة في كل حياته.

قال تعالىٰ عن عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:٣١].

والبركة: هي الزيادة والنماء في المال والصحة والأهل.

قوله: «وأن يجعلك ممن إذا أُعطي شكر»: أي إذا أنعم الله عَزَّ وَجَلَّ عليه بنعمة شكره بالطاعة.

والشكر مقامه عال جدًا لا يصل إليه إلا أقل القليل من عباد الله، قال تعالىٰ: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سبأ:١٣].

والشكر: هو ظهور أثر نعمة الله علىٰ لسان العبد ثناءً، واعترافا؛ وعلىٰ قلبه شهودًا، ومحبة؛ وعلىٰ جوارحه انقيادًا، وطاعة[(١)].

---

(١) انظر: «مدارج السالكين»، لابن القيم (٢/ ٢٢٤).

فشكر اللسان يكون بالثناء على الله ﷻ بالتسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير.

وشكر الجوارح يكون باستعمالها فيما يحب ربُّنا ويرضى.

وشكر القلب يكون باعتقاد أن كل نعمة هي بمحض فضل من الله وحده.

قـولـه: «وإذا ابتُلِيَ صَبَرَ»: أي إذا أصابته بَلِيَّةٌ صبر، واحتسب.

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٦].

وعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١).

والصبر: هو حبس النفس على طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وحبسها عن الجزع، والتسخط(٢).

قـولـه: «وإذا أذنبَ استغفر»: لأن الله ﷻ ذكر من علامات المتقين أنهم إذا أذنبوا استغفروا الله، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾[آل عمران:١٣٥].

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٩٩٩).

(٢) **انظر:** «مدارج السالكين» (٢/ ١٥٥)، و«طريق الهجرتين»، لابن القيم، صـ(٢٦٧).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَىٰ عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّهُ قَالَ: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**»[1].

قــولـه: «فإنَّ هؤلاء الثلاث عنوان السعادة»: أي هؤلاء الثلاث، عنوان السعادة، ومن أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة؛ فمن حققها حصلت له السعادة في الدنيا والآخرة.

والخصال الثلاث هي:

١- الشكر على العطية.

٢- الصبر على البليَّة.

٣- الاستغفار من الذنب.

والسعادة هي: شعور العبد بالرضا بما أعطاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والأمن وعدم الخوف من غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٧).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أنْ تَعبُدَ الله وحده مُخلصًا له الدين، وبذلك أمرَ الله جميع الناس وخَلَقهم لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات:٥٦].

الشَّرْح

قوله: «اعلم»: هذه الكلمة يؤتىٰ بها للاهتمام، والحث علىٰ ما بعدها؛ أي انتبه أيها المتعلِّم.

والعلم: أعلىٰ مراتب الإدراك، ثم نُقل بمعنىٰ المسائل المضبوطة ضبطا علميا.

واصطلاحًا: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع.

وقيل: هو إدراك الشيء علىٰ ما هو به.

وقيل غير ذلك[(١)].

قوله: «أرشدك الله»: أي هداك، ووفقك.

والرشد: الاستقامة علىٰ الطريق، وهو ضد الغي[(٢)].

قال تعالىٰ: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٦٥].

---

(١) ينظر: «التعريفات»، للجرجاني، صـ(١٥٥).

(٢) انظر: «مقاييس اللغة»، مادة «رشد».

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن:١-٢].

قــولـه: «لطاعته»: الطاعة: هي موافقة الأمر طوعًا[١].

قــولـه: «أن الحنيفية»: الحنيفية: هي الملة المائلة عن الشرك إلىٰ التوحيد[٢].

وقد مدح الله نبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنه ترك ما عليه قومه من الشرك، ووحَّدَ الله.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠﴾ [النحل:١٢٠].

والحنيف: هو المائل إلىٰ الدين المستقيم[٣].

قــولـه: «ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ»: أي شريعة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والفرق بين الدين والملة:

أن الملة: هي اسم لجملة الشريعة.

أما الدين: فهو اسم لما عليه كل واحد من أهله.

يقال: فلان حسن الدين، ولا يقال: حسن الملة[٤].

وملة إبراهيم: هي أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين، وذلك

---

(١) **انظر**: «التعريفات»، صـ(١٤٠).

(٢) **انظر**: «تهذيب اللغة»، و«لسان العرب»، مادة «حنف».

(٣) **انظر**: «مقاييس اللغة»، مادة «حنف».

(٤) **انظر**: «الفروق اللغوية»، للعسكري، صـ(٢٢٠).

باجتناب الشرك، والبراءة من أهله.

وقد أمرنا الله ﷻ باتباع ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال ﷻ: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩٥)﴾ [آل عمران:٩٥].

وقد حذرنا ﷻ من ترك ملَّته عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة:١٣٠]، أي: خسرها[(١)].

قوله: «أنْ تَعبُدَ الله وحده»: العبادة: لغة: هي التذلل والخضوع[(٢)]؛ يقال: طريق معبد أي مذلل ومهيأ للسير عليه.

وشرعًا: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأقوال، والأعمال الظاهرة، والباطنة[(٣)].

الأقوال الظاهرة: هي أقوال اللسان: كالشهادتين، والتسبيح، والتهليل، ورد السلام، ونحوه.

والأقوال الباطنة: هي أقوال القلب التي يُحدِّث القلبُ بها نفسَه: كاليقين، والتصديق، ونحوه.

والأعمال الظاهرة: هي أعمال الجوارح: كالصلاة، والصيام، والزكاة، والنذر، والطواف، ونحوه.

والأعمال الباطنة: هي أعمال القلب: كالخوف، والرجاء، والمحبة، والخشية، والإنابة، ونحوه.

---

(١) **انظر:** «تفسير الطبري» (٣/ ٩٠).

(٢) **انظر:** «لسان العرب»، مادة «عبد».

(٣) **انظر:** «مجموع الفتاوى»، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ١٤٩).

قــولـه: «مُخلصًا له الدين»: الإخلاص: هو التنقية[١]، والمراد به أن يقصد العبد بعبادته وجه الله، والوصول إلىٰ دار كرامته.

والإخلاص: هو أحد شرطي قبول العبادة.

والشرط الثاني: هو متابعة النبي ﷺ.

والدين: هو اسم لما عليه كل واحد من أهله[٢].

قــولـه: «وبذلك»: أي بالعبادة الخالصة.

قــولـه: «أمرَ الله جميع الناس»: فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة:٢١].

وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيِّنة:٥].

قــولـه: «وخَلَقهم لها»: أي أوجدهم من العدم ليفردوا له العبادة ﷻ.

قــولـه: «كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾»: أي ليقروا بالعبادة، ويوحدون[٣].

والعبادة نوعان:

أحدهما: عبادة كونيه: هي الخضوع لأمر الله تعالىٰ الكوني، وهي شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها أحد.

ومنها قول الله ﷻ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريم:٩٣]، فهي شاملة للمؤمن البر والفاجر.

---

(١) انظر: «لسان العرب»، مادة «خلص».

(٢) انظر: «الفروق اللغوية»، صـ(٢٢٠).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٤٤٥).

الثاني: عبادة شرعية: هي الخضوع لأمر الله الشرعي، وهي خاصة بعباده المؤمنين؛ وهذه هي المرادة من الآية.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

فإذا عَرَفت أن الله خلقك لعبادته، فاعلم أن العبادة لا تُسمَّى عبادة إلا مع التوحيد كما أن الصلاة لا تُسمَّى صلاةً إلا مع الطهارة.

فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة.

فإذا عَرَفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها، وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار عَرَفت أنَّ أهم ما عليك معرفة ذلك، لعل الله أن يُخلِّصك من هذه الشبكة، وهي الشرْكُ بالله الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.

الشَّـرْح

قـولـه: «فإذا عَرَفت أن الله خلقك لعبادته»: أي عَرَفت أن الله خلقك لعبادته وحده كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات:٥٦].

ولا يقبل الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ العبادة إلا بشرطين، هما:

١- الإخلاص لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ

﴿حُنَفَآءَ﴾ [البيِّنة:٥].

٢- المتابعة للنبي ﷺ لقوله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

فإذا اختل شرط منهما فسدت العبادة.

قوله: «فاعلم»: أي أيها المتعلِّم، ويؤتىٰ بهذه الكلمة للحث والانتباه.

قوله: «أن العبادة لا تُسمى عبادة إلا مع التوحيد»: أي العبادة لا تسمىٰ عبادة شرعية إلا إذا صدرت من موحِّد.

والتوحيد لغة: الإفراد[1]؛ يقال: وحَّدَ الأشياء إذا جعلها شيئًا واحدًا.

وشرعًا: هو إفراد الله ﷻ بأفعاله، وإفراده بالعبادة، وإفراده بأسمائه الحسنىٰ، وصفاته العلىٰ.

قوله: «كما أن الصلاة لا تسمى صلاةً إلا مع الطهارة»: أي أن العبادة إذا فعليها غير الموحِّد لم تسمَّ عبادة مثل الصلاة لا تسمىٰ صلاة إذا فعلها المحدِث.

قوله: «فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت»: المراد بالشرك هنا: الشرك الأكبر، وأما الشرك الأصغر فإنه يفسد العمل المقارن.

فعنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ تُقْبَلُ صَلاَةٌ**

---

(١) انظر: «لسان العرب»، مادة «وحد».

مَنْ أَحْدَثَ حَتَّىٰ يَتَوَضَّأَ»[١].

فائدة: الشرك قسمان:

أحدهما: شرك أكبر: هو كل شرك أطلقه الشارع، وكان متضمِنًا لخروج الإنسان من دينه.

الثاني: شرك أصغر: هو كل عمل قولي، أو فعلي أطلق عليه الشارع وصف الشرك لكنه لا يُخرج من الملة.

ومن العلماء من قسمه إلىٰ ثلاثة أقسام: أكبر، وأصغر، وخفي.

فأخرجوا الرياء من الشرك الأصغر، وأفرده بنوع مستقل.

والرياء: هو أن يعمل العبد العبادة لكي يثني الناس عليه، أو يحصل بها علىٰ رياسة أو منصبٍ أو نحوه.

قــولـه: «كالحدث إذا دخل في الطهارة»: أي كما أن الحدث الأصغر أو الأكبر يُبطل الطهارة، ولا يكون صاحبه متطهِّرا، فكذلك الشرك يفسد العبادة، ولا يكون صاحبه عابدا لله.

قــولـه: «فإذا عَرَفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها، وأحبط العمل»: أي أبطل العمل الذي شاركه.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُّمَر:٦٥].

قــولـه: «وصار صاحبه من الخالدين في النار»: كما قال تعالىٰ:

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٥)، ومسلم (٢٢٥).

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

والشرك أعظم الذنوب، فعَنْ عَبْدِ الله بن مَسعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: «**أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»[(١)].

قـوله: «عرَفت أن أهمَّ ما عليك معرفة ذلك»: أي: معرفة وتعلُّم التوحيد، الذي تصح به العبادات.

قـوله: «لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة»: شبه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ الشرك بالشبكة، لأن الشبكة إذا وقع فيها الإنسان لم يستطع الخروج منها.

وكذلك إذا تساهل الإنسان في يسير الشرك أوشك أن يقع في عظيمه؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**»، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ**»[(٢)]، وهم الذين كسروا الأصنام، وجاهدوا المشركين.

قـوله: «وهي الشرْكُ بالله الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾»: أي لا يغفر الله لعبد لقيه وهو

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

(٢) حسن: رواه أحمد (٣٩/ ٣٩)، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مشرك به ويغفر ما دون ذلك من الذنوب لمن يشاء من عباده[١].

قوله: «وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه»:

أي مستند هذه القواعد الأربع كتاب الله ﷻ.

ويجب علينا أن نتعلم هذه القواعد الأربع حتىٰ نجتنب الشرك، ولا نقع فيه.



(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٢٥).

القاعدة الأولى

[الإقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يكفي]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

أن تعلم أن الكافرين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، مقرون بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر، وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام، والدليل قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١].

الشَّرْح

قوله: «أن تعلم أن الكافرين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، مقرون بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر»: هذا فيه بيان حال الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، فقد كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وهو إفراد الله ﷻ بالخلق، والتدبير، والمُلك، والرَّزق.

فقد كان الكفار يقرون بهذه المعاني إلا طائفة منهم وهم الدهريون

الذين قالوا: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

قوله: «وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام»: أي أن ذلك التوحيد، وهو توحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، بل قاتلهم النبي ﷺ.

قوله: «والدليل»: أي علىٰ أن الكفار كانوا مقرين بتوحيد الربوبية.

قوله: «قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾»: أي قل لهم يا محمد ﷺ.

قوله: «﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾»: هذا فيه إثبات الرَّزق لله سبحانه وتعالى، وأنه الرزاق.

قوله: «﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾»: هذا فيه إثبات الملك لله سبحانه وتعالى.

قوله: «﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾»: هذا فيه إثبات الخلق لله سبحانه وتعالى.

وفيه أيضًا إثبات الإحياء والإماتة.

قوله: «﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾»: هذا فيه إثبات التدبير، وأن الله سبحانه وتعالى هو المدبِّر.

وهذه الآية فيها دلالة علىٰ توحيد الربوبية، ولا يصح توحيد الربوبية من عبد حتىٰ يؤمن بهذه الأربع كلها، ويقرُّ بها إقرارًا جازمًا:

١- أن الله رازق كل شيء.

٢- أن الله مالك كل شيء.

٣- أن الله خالق كل شيء.

٤- أن الله يحيي ويميت.

قوله: «﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾»: إذا سُئل هؤلاء عن هذه الأمور فجوابهم: الله ﷻ هو الرزاق المالك الخالق المحيي المميت.

قوله: «﴿فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١﴾»: أي تتقون كل ما يوقع الإنسان في الهلكة كالشرك، والذنوب والمعاصي.

ملخص هذه القاعدة: ليس معنىٰ التوحيد الإقرار بالربوبية فقط، والشرك لا يكون في الربوبية فقط، وإنما الشرك الذي وقع فيه غالب الناس هو الشرك في الألوهية.

القاعدة الثانية

[سبب كفر مشركي قريش
اتخاذهم شفعاء ووسائط دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى]



قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى:**

أنهم يقولون: ما دعوناهم، وتوجهنا إليهم إلا لطلب القُرْبة، والشفاعة.

فدليل القُرْبة قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣ ﴾ [الزُّمَر:٣].

ودليل الشفاعة: قوله تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨].

والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية، وشفاعة مثبَتَة.

فالشفاعة المنفية: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

والدليل: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٤].

والشفاعة المثبَتَة: هي التي تطلب من الله، والشافع مُكرَم بالشفاعة، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، والمشفوع له من رضي الله قوله، وعمله بعد الإذن.

الشَّرْح

هذه القاعدة فيها الرد علىٰ ما احتج به أهل الشرك علىٰ شركهم.

وكل من صرف شيئًا من العبادة لغير الله ﷻ احتج بأن أن المصروفَ لهم العبادة أولياء لله:

- نرجو أن يقربونا إلىٰ الله ﷻ.
- أو نرجو شفاعتهم عند الله ﷻ يوم القيامة.

قــولـه: «أنهم يقولون: ما دعوناهم، وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة، والشفاعة»: أي لم نصرف العبادة لهم، ولم ندعوهم إلا لقربونا إلىٰ الله ﷻ، أو لكي يشفعوا لنا عند الله ﷻ.

ويستدلون علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المائدة:٣٥].

ويقولون: معنىٰ هذه الآية جواز طلب الشفاعة القربة من الأولياء والصالحين.

وهذا تفسير فاسد؛ لمخالفته النصوص الشرعية.

والقُربة: هي ما يُتقرب به إلىٰ الله تعالىٰ بواسطة غالبًا(١)، كولي، أو رجل صالح، أو غيرهما.

والشفاعة: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم من الذي وقع الجناية في حقه(٢).

قوله: «فدليل القربة»: أي الدليل علىٰ أن اتخاذ القربة من أفعال المشركين، ومن اتخذها فهو كافر.

قوله: «قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾»: أي آلهة.

قوله: «﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾»: أي إنما يحملهم علىٰ عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلىٰ أصنام اتخذوها علىٰ صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلًا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة؛ ليشفعوا لهم عند الله فينصرهم ورزقهم، وما ينوبهم من أمر الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به(٣).

---

(١) انظر: «الكليات»، للكفوي، صـ (٧٢٤).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٤٨٥)، و«التعريفات»، صـ (١٢٧).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٨٤-٨٥).

قال بعض أهل العلم: أي ما نعبدهم إلا ليشفعوا لنا، ويقربونا عنده منزلة[(١)].

والزلفىٰ: القُرَب[(٢)].

قوله: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾»: إن الله يفصل بين هؤلاء الأحزاب الذين اتخذوا في الدنيا من دون الله أولياء يوم القيامة فيما هم فيه يختلفون في الدنيا من عبادتهم ما كانوا يعبدون فيها، بأن يصليهم جميعًا جهنم إلا من أخلص الدين لله فوحده، ولم يشرك به شيئًا[(٣)].

قوله: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣﴾»: أي: لا يرشد إلىٰ الهداية من قصده الكذب والافتراء علىٰ الله، وقلبه كفار يجحد بآياته، وحججه، وبراهينه[(٤)].

و هذا دليل علىٰ كفر من اتخذ وليًا، أو رجلًا صالحًا قُربةً بينه، وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: «**ودليل الشفاعة**»: أي الدليل علىٰ أن اتخاذ الشفاعة من أفعال المشركين، ومن اتخذها فهو كافر.

والشفاعة لغة: هي جعل الوتر شفعًا[(٥)].

---

(١) **انظر**: «تفسير الطبري» (٢١/ ٢٥٢)، و«تفسير ابن كثير» (٧/ ٨٥).
(٢) **انظر**: «تفسير الطبري» (٢١/ ٢٥٢).
(٣) **انظر**: «تفسير الطبري» (٢١/ ٢٥٢).
(٤) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٨٥).
(٥) **انظر**: «لسان العرب»، مادة «شفع».

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣﴾ [الفجر:٣].

وشرعًا: هي التوسط للغير لجلب منفعة أو دفع مضرة.

ويشترط في قبول الشفاعة ثلاثة شروط:

١- الإذن في الشفاعة.

٢- الرضا عن الشافع.

٣- الرضا عن المشفوع.

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ۝٢٦﴾ [النجم:٢٦].

قوله: «قوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾»: أي يعبدون هؤلاء الأموات، أو هؤلاء الغائبين؛ وهؤلاء لا يملكون لهم جلب النفع، أو دفع الضر.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: «**ينكر تعالىٰ علىٰ المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله، فأخبر تعالىٰ أنها لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئًا، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها، ولا يكون هذا أبدا**»[1].

قوله: «﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾»: أي أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله[2].

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٥٦).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٤٦).

قــولـه: «والشفاعة شفاعتان»: أي الشفاعة تنقسم باعتبار المشفوع فيه إلىٰ قسمين.

قــولـه: «شفاعة منفية»: هي التي نفاها الله ﷻ في القرآن، وهي التي تطلب بغير إذن الله، أو تطلب لمشرك.

قــولـه: «وشفاعة مثبتة»: هي التي أثبتها الله ﷻ في القرآن، وهي التي تطلب بإذن الله لأهل التوحيد.

قــولـه: «فالشفاعة المنفية: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله»: أي حقيقة الشفاعة المنفية التي أبطلها الله ﷻ أنها طلب الشفاعة من أحد فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، وهذا شرك.

أما طلب الشفاعة من أحد فيما يقدر عليه فهو جائز، وليس من الشفاعة الشركية، ومنها قول ﷺ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي الله عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ**»[(١)].

قــولـه: «والدليل»: أي علىٰ الشفاعة المنفية.

قــولـه: «قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ﴾»: أي قدموا لآخرتكم ما ينفعكم من النفقات، والعبادات قبل أن يأتيكم ذلك اليوم.

قــولـه: «﴿يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ﴾»: أي الذي لا يملك فيه أحد شيئًا يتاجر به، ولا يملك أن يبيع شيئًا يفتدي به نفسه من النار.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٤٣٢)، من حديث أبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قــولـه: «﴿ وَلَا خُلَّةٌ ﴾»: أي لا صداقة، ولا نسب(١)، فيتبرأ كل خليل من خليله، إلا المتقين كما قال تعالىٰ: ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزُّخرُف:٦٧].

قــولـه: «﴿ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾»: أي ولا تنفع المشركين شفاعةُ الشافعين(٢).

قــولـه: «﴿ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾»: أي الذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله سبحانه وتعالى.

قــولـه: «والشفاعة المثبَتَة: هي التي تطلب من الله»: أي الشفاعة المثبتة هي التي أثبتها الله سبحانه وتعالى في كتابه، ولا تطلب إلا من الله سبحانه وتعالى.

قــولـه: «والشافع مُكرَم بالشفاعة»: أي الله يكرم من يشاء من عباده، بأن يجعله شفيعًا.

قــولـه: «والمشفوع له من رضي الله قوله، وعمله بعد الإذن»: أي الشفاعة لا تحصل إلا بعد إذن الله سبحانه وتعالى للشافع، ورضاه عن المشفوع.

قــولـه: «كما قال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾»: أي من ذا الذي يشفع لمماليكه إن أراد عقوبتهم إلا أن يأذن له بالشفاعة(٣).

وهذا استفهام انكاري والمعنىٰ: لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه.

ملخص هذه القاعدة: أن مشركي قريش كانوا يقرون بتوحيد

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٦٧١).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٦٧١).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٣٩٥).

الربوبية، ومع ذلك حكم الله عليه بالكفر والخلود في النار؛ لأنهم اتخذوا معبوداتهم شفعاء ووسائط بينهم وبين الله ﷻ ليحصلوا علىٰ ما يطلبونه.

القاعدة الثالثة

[كل من صرف العبادة لغيـر الله فهو مشـرك يجب قتـاله]



قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم: منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ، ولم يفرق بينهم؛ والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٣].

ودليل الشمس، والقمر: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فُصِّلَت:٣٧].

ودليل الملائكة: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران:٨٠].

ودليل الأنبياء: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ

مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة:١١٦].

ودليل الصالحين: قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء:٥٧].

ودليل الأحجار، والأشجار: قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم:٢٠].

وحديث أبي واقدٍ الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**خرجنا مع النبي ﷺ إلى حُنين ونحنُ حدثاء عهدٍ بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط...**» الحديث[1].

الشَّرح

قوله: «أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم»: أي ليسوا مجتمعين علىٰ عبادة واحدة، بل هم أنواع، وفرق شتىٰ.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢١٨٠)، وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢١٨٩٧)، وصححه الألباني.

قــولــه: «منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر»: أي بعض المشركين كانوا يعبدون الملائكة، وبعضهم كان يعبد الأنبياء والصالحين، وبعضهم كان يعبد الأحجار والأشجار، وبعضهم كان يعبد الشمس والقمر.

قــولــه: «وقاتلهم رسول الله ﷺ، ولم يفرق بينهم»: أي لم يفرق النبي ﷺ بين من يعبد الملائكة، وبين من يعبد الأحجار، وبين من يعبد الأنبياء، وبين من يعبد شيئًا آخر، بل قاتلهم جميعًا؛ ولم يفرق بين من يعبد الملائكة، وبين من يعبد غيرهم.

قــولــه: «والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾»: أي وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتىٰ لا يكون شركٌ بالله، وحتىٰ لا يُعبد دونه أحدٌ، وتضمحلَّ عبادة الأوثان والآلهة والأنداد، وتكونَ العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان.

ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الدليل علىٰ تفرق هؤلاء، وتنوع عباداتهم، واختلاف طرائقهم في العبادة.

قــولــه: «ودليل الشمس، والقمر»: أي الدليل علىٰ أن بعض المشركين يعبد الشمس، والقمر.

قــولــه: «قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ﴾»: أي ولا تشركوا به فما

تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره، فإنه لا يغفر أن يشرك به[١].

قوله: «ودليل الملائكة»: أي الدليل علىٰ أن من المشركين من كان يعبد الملائكة.

قوله: «قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾»: أي إن الله ﷻ ينهاكم عن اتخاذ الملائكة، والأنبياء آلهة.

قوله: «ودليل الأنبياء»: أي الدليل علىٰ أن من المشركين من كان يعبد الأنبياء.

قوله: «قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾»: هذا دليل علىٰ أن من اعتقد في مخلوق جلب منفعة، أو دفع مضرة، فقد اتخذه إلها.

قوله: «﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾»: هذه الآية دليل علىٰ أن هناك من يعبد الأنبياء، وفيها أيضًا رد علىٰ من زعم أ الشرك مقصور علىٰ عبادة الأصنام فقط.

قوله: «ودليل الصالحين»: أي الدليل علىٰ أن منهم من كان يعبد الصالحين.

قوله: «قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾»: أي هؤلاء الذين يدعوهم هؤلاء المشركون أربابًا[٢].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ١٨٢).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٤٧١).

قوله: «﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾»: أي يبتغي المدعوّون أربابا إلىٰ ربهم القُربة والزُّلفة، لأنهم أهل إيمان به، والمشركون بالله يعبدونهم من دون الله(١).

قوله: «﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾»: أي أيهم بصالح عمله واجتهاده في عبادته أقرب عند الله مكانة(٢).

قوله: «﴿وَيَرْجُونَ﴾»: أي بأفعالهم تلك(٣).

قوله: «﴿رَحْمَتَهُۥ﴾»: أي ويَخافُونَ أمره(٤).

قوله: «﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ﴾»: أي يا محمد(٥).

ولا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف ينكفُّ عن المناهي، وبالرجاء ينبعث علىٰ الطاعات(٦).

قوله: «﴿كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧﴾»: أي متقي(٧)، فينبغي أن يحذر منه، ويخاف من وقوعه وحصوله، عياذًا بالله منه(٨).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٤٧١).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٤٧١).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٤٧١).
(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٤٧١).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٤٧١).
(٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٨٩).
(٧) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٤٧١).
(٨) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٨٩).

فائدة: اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية على ثلاثة أقوال[(١)]:

القول الأول: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجنيون، وبقي هؤلاء يعبدونهم.

القول الثاني: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون عيسىٰ وأمه، وعزيرًا.

القول الثالث: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون الملائكة.

والراجح: أن الآية نزلت في الجميع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: **«قالت طائفة من السلف: كان أقوام يدعون عزيرا والمسيح والملائكة، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية بيّن فيها أن الملائكة والأنبياء يتقربون إلىٰ الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه»[(٢)]، «وبين الله تبارك وتعالىٰ أن هؤلاء عباده كما أنتم عباده، يرجون رحمته كما ترجون رحمته، ويخافون عذابه كما تخافون عذابه، ويتقربون إليه كما تتقربون إليه»[(٣)].**

قوله: «ودليل الأحجار، والأشجار»: أي دليل عبادتهم الأحجار، والأشجار.

قوله: «قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾»: أي أفرأيتم أيها المشركون الذين زعمتم أن اللات والعُزَّىٰ ومناة الثالثة بنات الله[(٤)].

---

(١) انظر: «الطبري» (١٧/ ٤٧٢-٤٧٤)، و«تفسير ابن كثير» (٥/ ٨٨-٨٩).

(٢) انظر: «التدمرية»، صـ(١٩٨)، و«قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، صـ(٢٣).

(٣) انظر: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (١/ ٣٥٩).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٢٢).

قــولـه: «﴿ ٱللَّٰتَ ﴾»: اللات مشتقة من الله؛ أُلحقت فيه التاء فأنِّثت، كما قيل: عمرو للذكر، وللأنثىٰ عمرة؛ فكذلك سمىٰ المشركون أوثانهم بأسماء الله، فقالوا من الله اللات، ومن العزيز العُزَّىٰ؛ وزعموا أنهن بنات الله، تعالىٰ الله عما يقولون(١).

قــولـه: «﴿وَٱلۡعُزَّىٰ ﴾»: قيل: كان شجرات يعبدونها؛ وقيل: كانت العُزَّىٰ حَجَرا أبيض؛ وقيل: كان بيتا بالطائف تعبده ثقيف(٢).

قــولـه: «﴿ وَمَنَوٰةَ ﴾»: مناةُ آلهة يعبدونها كانت بقُدَيد(٣)، وقيل: صنم لهذيل وخزاعة يعبدها أهل مكة(٤).

قــولـه: «﴿ٱلثَّالِثَةَ ﴾»: الثالثة نعت لمناة؛ أي الثالثة للصنمين في الذكر(٥).

قــولـه: «﴿ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾»: الأخرىٰ نعت للثانية، وقيل: في الآية تقديم وتأخير، أي: أفرأيتم اللات والعزىٰ الأخرىٰ ومناة الثالثة(٦).

قــولـه: «وحديث أبي واقدٍ الليثي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى حُنين ونحنُ حدثاء عهدٍ بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها»: أي يمكثون عندها.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٢٢).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٢٤).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٢٤).
(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٠٩).
(٥) انظر: السابق(٤/ ٣٠٩).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٢٢٥).

قــولـه: «وينوطون بها أسلحتهم»: أي يعلقون بها أسلحتهم للتبرك بها.

قــولـه: «يقال لها»: أي تسمىٰ.

قــولـه: «ذات أنواط»: الأنواط جمع نوط، وهو التعليق، أي صاحبة الأنواط، وذلك لكثرة ما يعلق بها طلبًا للبركة.

قــولـه: «فمررنا بسدرة»: أي بشجرة.

قــولـه: «فقلنا»: أي قال بعض الصحابة الذين أسلموا قريبًا.

قــولـه: «يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط...»: عند ذلك تعجب النبي ﷺ، وقال: «**الله أكبر ! الله أكبر ! إنها السُّنن**» أي الطرق التي يسلكها الناس، ويقتدي بعضهم ببعض؛ ثم قال ﷺ: «**قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف:١٣٨]»[(١)].

الشاهد من هذا الحديث: أن هناك من يتبرك، ويعكف عند بعض الأشجار والأحجار.

مما يستفاد من هذا الحديث:

١- خطر الجهل بالتوحيد، فمن جهل شيئًا وقع فيه، ومن هنا يجب تعلم التوحيد.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢١٨٠)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١١٢١)، وأحمد (٣٦/ ٢٢٥).

٢- خطر التشبه بالمشركين، وأنه قد يؤدي إلىٰ الشرك.

٣- أن التبرك بالأحجار، والأشجار، والأبنية شرك، وإن سُمي بغير اسمه؛ لأن طلب البركة من غير الله شرك.

ملخص هذه القاعدة: أن النبي ﷺ حارب الشرك بجميع أنواعه وصوره، بغض النظر عن المعبودات، ولم يفرق بين هذا وذاك، بل سوىٰ بينهم في ثبوت حكم الكفر، وفي مقاتلتهم.



القاعدة الرابعة

[مشركو زماننا أغلظ شركًا من مشركي قريش]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

أنّ مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأوّلين؛ لأنّ الأوّلين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدّة، ومشركو زماننا شركهم دائم؛ في الرخاء والشدّة.

والدليل: قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٥].

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

------------ الشَّـرْح ------------

قــولـه: «أنّ مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأوّلين»: أي أن مشركي زمان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو القرن الثاني عشر الهجري أكثر شركًا من مشركي قريش.

قــولـه: «لأنّ الأوّلين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدّة»:

أي لأن مشركي قريش كانوا يخلصون الدعاء لله وحده، ولا يتوجهون

إلا إلىٰ الله ﷻ بالدعاء وكشف الضر، وأما في الرخاء واليسر فإنهم يعبدون الله ﷻ، وغيره، ويصرفون العبادة لغير الله ﷻ.

قــولـه: «ومشركو زماننا شركهم دائم؛ في الرخاء والشدّة»: أي أن مشركي الزمان المتأخر في زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وكذلك في الزمن الحاضر يشركون في الرخاء، والشدة، فلا يخلصون العبادة لا في حال الرخاء، والسعة، ولا في حال الشدة، والضيق.

قــولـه: «والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾»: أي فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر، فخافوا الغرق والهلاك فيه أخلصوا لله عند الشدّة التي نزلت بهم التوحيد، وأفردوا له الطاعة، وأذعنوا له بالعبودة، ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم، ولكن بالله الذي خلقهم، فلما خلصهم مما كانوا فيه وسلَّمهم، فصاروا إلىٰ البرّ، إذا هم يجعلون مع الله شريكا في عبادتهم، ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابًا.

ملخص هذه القاعدة: أن المشركين في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والزمن الحاضر أغلظ وأشد شركًا من شرك الأولين؛ لأنهم يشركون في الرخاء والشدة، أما المشركون الأولون فكانوا يشركون في الرخاء فقط، فإذا وقعوا في ضيق وشدة أخلصوا العبادة لله وحده ﷻ.

تم الشرح والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الأسئلة والمناقشة

في ضوء دراستك لكتاب «القول الأبلغ على القواعد الأربع» أجب عن الأسئلة الآتية:

١- ما هو عنوان السعادة في الدنيا والآخرة؟

٢- ما الفرق بين مشركي قريش ومشركي زماننا؟

٣- بماذا تُجيب علىٰ من يقول: إننا لا نعبد الأصنام إنما نتخذهم قربة وشفاعة؟

٤- ما هي أنواع الشفاعة؟ وما تعريف كل نوع منهما؟

٥- ما هو شرك الرخاء، والشدة؟

٦- هل كفار قريش كانوا مقرين بالربوبية؟

٧- تكلم عن القواع الأربع تفصيلا.

٨- ما الدليل علىٰ كل ما يأتي:

أ- كفر من يعبد الشمس والقمر.

ب- كفر من يعبد الملائكة.

ت- كفر من يعبد الأنبياء.

ث- كفر من يعبد الصالحين.

ج- كفر من يعبد الأشجار والأحجار

نسأل الله لنا ولكم التوفيق والهداية.



المصادر والمراجع

١- **التدمرية**، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية [ت ٧٢٨هـ]، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، طبعة: مكتبة العبيكان- الرياض، الطبعة: السادسة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٢- **التعريفات**، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني [ت ٨١٦هـ]، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٣- **تفسير ابن كثير** [تفسير القرآن العظيم]، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [ت ٧٧٤هـ]، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، طبعة: دار طيبة- الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٤- **تهذيب اللغة**، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور [ت ٣٧٠هـ]، تحقيق: محمد عوض مرعب، طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ٢٠٠١م.

٥- **تفسير البغوي** [معالم التنزيل]، للحسين بن مسعود البغوي [ت ٥١٦هـ]، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ.

٦- **تفسير الطبري [جامع البيان عن تأويل القرآن]**، لأبي جعفر

محمد بن جرير الطبري [ت ٣١٠هـ]، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠ م.

٧- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية [ت ٧٢٨هـ]، تحقيق: علي بن حسن، وآخرين، طبعة: دار العاصمة- السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٨- **حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية**، لإسماعيل بن محمد بن ماحي السعدي الأنصاري [ت ١٤١٧هـ]، طبعة: عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ،١٩٩٠م.

٩- **سنن ابن ماجه**، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني [ت ٢٧٣هـ]، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار إحياء الكتب العربية- مصر.

١٠- **سنن أبي داود**، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني [ت ٢٧٥هـ]، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة: المكتبة العصرية- بيروت.

١١- **سنن الترمذي**، لمحمد بن عيسىٰ بن سَوْرة الترمذي [ت ٢٧٩هـ]، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر [جـ ١، ٢]، ومحمد فؤاد عبد الباقي [جـ ٣]، وإبراهيم عطوة عوض [جـ ٤، ٥]، طبعة: شركة مكتبة، ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي- مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

١٢- **سنن النسائي الصغرىٰ**، لأحمد بن شعيب النسائي [ت ٣٠٣هـ]، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، طبعة: مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٣- **سنن النسائي الكبرىٰ**، لأحمد بن شعيب النسائي [ت ٣٠٣هـ]، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١م.

١٤- **صحيح البخاري**، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري [ت ٢٥٦ هـ]، ترقيم عبدالباقي، طبعة: دار الشعب- القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٥- **صحيح الجامع**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني [ت ١٤٢٠هـ]، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٦- **صحيح مسلم**، لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ٢٦١هـ]، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

١٧- **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني [ت ١٤٢٠هـ]، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٩هـ.

١٨- **صحيح وضعيف سنن النسائي**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني [ت ١٤٢٠هـ]، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج،

الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٩هـ.

١٩- **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، لابن القيم محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد [ت ٧٥١هـ]، طبعة: دار السلفية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ.

٢٠- **الفروق اللغوية**، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري [ت نحو ٣٩٥هـ]، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، طبعة: دار العلم والثقافة، القاهرة.

٢١- **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، لمحمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي [ت ١٣٧٦هـ]، طبعة: دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان، الطبعة: الأولىٰ: ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٢٢- **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية [ت ٧٢٨ هـ]، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، طبعة: مكتبة الفرقان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١هـ.

٢٣- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، لأبي البقاء الكفوي [ت ١٠٩٤هـ]، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٢٤- **لسان العرب**، لمحمد بن مكرم بن منظور [ت ٧١١هـ]، طبعة: دار صادر- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

٢٥- **المدخل إلىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، لعبد القادر بن

أحمد بن مصطفىٰ بن عبد الرحيم بن محمد بدران [ت ١٣٤٦هـ]، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ.

٢٦- **مجموع الفتاوىٰ**، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية [ت ٧٢٨ هـ]، طبعة: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم.

٢٧- **مدارج السالكين**، لابن القيم محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد [ت ٧٥١هـ]، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، طبعة: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦م.

٢٨- **مسند أحمد**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني [ت ٢٤١هـ]، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٢٩- **مسند أحمد**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني [ت ٢٤١هـ]، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٣٠- **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، لعبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، طبعة: دار اليمامة، الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

٣١- **مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي [ت ٣٩٥هـ]، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة: دار الفكر، طبعة: ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٣٢- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير [ت ٦٠٦هـ]، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، طبعة: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.



مُحتويَات الكِتابْ

متن الرسالة

الشرح

القاعدة الأولى

القاعدة الثانية

القاعدة الثالثة



....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....